

الواقعية الجديدة

عبد الماجد عبد الرحمن الحبوب *

يمكن اعتبار حركة الواقعية الجديدة (New Realism)، تجلياً من تجليات مظلة أعرض هي ما بعد - الحداثة (في مستوياتها الفنية الجمالية والفكرية-الفلسفية والسياسو-اقتصادية). ومن باب التحديد، سنوجز هنا الواقعية الجديدة في تجليها الفني -الجمالي.

الواقعية الجديدة، كلمة سكتها الناقد الفني (بيير ريستاني) في العام 1960، وكان زميله كلين يفضل أن يطلق عليها الواقعية العصرية (today's realism). وكان نفرٌ من نحو تسعة فنانين وكتاب أطلقوا الحركة الجديدة في باريس وصاغوا في بيانها التأسيسي أن الدافع هو تقريب الشقة بين الفن والحياة. وبلغت ريستاني الحركة تتبنى منهجاً هو عبارة عن "إعادة تدوير شعري" (poetic recycling) لحقائق الواقع الحياتية، (كما تفعل قصيدة النثر، مثلاً). وفي واقع الحال، الحركة كانت تسعى بجد لتجاوز سلبيات واقعية القرن التاسع عشر القحة من جهة (مصطلح الواقعية ارتبط برواية القرن التاسع عشر، بوصفها تجليه الأوضح)، وتجريدية الدادائية، من جهة أخرى. وربما تستمد موجهاتها الأساسية من كتاب الفيلسوف لفجوي الثورة ضد الثنائية (Dualism Revolt Against)، والذي رفض فيه بشدة ثنائية لوك للفرقة بين الوعي والواقع (كثيراً ما كان الشاعر محمد عبد الحي يرفض هذه الثنائية ويتبرم منها، إذ كان - في رحلته المهلكة - يريد سنار جسداً وروحاً، سنار هيكلًا ومعنى، سنار تاريخاً وحاضراً وسنار التي فوق الزمن).

وتطبيقاً عملياً لهذا الموقف الراض للثنائية، كان الواقعيون الجدد يعرضون في معارضهم الفنية أشياء حقيقية من الواقع القح (كالأواني وعلب السجائر وقطع السيارات) ويضيفونها إلى لوحاتهم وأعمالهم الفنية، وهم في غاية النشوة والابتهاج. والى جانب تقنية الكولاج، فقد كانوا يستخدمون أيضاً اللاكولاج (عكس الكولاج الذي يقوم على التجميع من المتناثر، يقوم

اللاكولاج على التشظي والتقطيع من المكتمل). وثمة تشابه رؤيوي وأسلوبى بين حركة الواقعية الجديدة في أوروبا وحركة فن البوب (Pop Art) والدادائية الجديدة (neo-Dadaism) في أمريكا. فالحياة والفن هنا تتجاوران وتتماسان، حتى لكأن الحياة فن جميل، ولكأن الفن الجميل حياة أخرى تتسرب وتندفق في اللوحات والقصاصد والروايات والقصص. هاهنا تظل الحياة حياة، ويبقى الفن فناً، ومع ذلك يلتقيان.

توقف نشاط الحركة في 1970، أثر وفاة أحد روادها، ولكنها كطريقة فنية وجمالية ظلت مستمرة. ويمكن الآن ملاحظة ذلك في النزعات الشعرية والروائية الجديدة. فهناك توجه واضح لتقريب الفجوة بين الفن والحياة، وتجسير المسافة بين القصيدة في شكلها التخيلي الأصلي والواقع اليومي الخام، وبين النقاط تناقضات الواقع الجلف ودسها في لحمه خيال ليس له حدود، كما يحدث الآن في التراكيب الروائية الجديدة. فكل ما نسميه الآن بالواقعيات الجديدة (الواقعية-السحرية، والسحرية-الواقعية، والواقعية-الصوفية، والواقعية-السيكولوجية... الخ) ما هو إلا ضيقاً عريضاً بالثنائية بين الحياة والفن. ربما هو تأكيد بطريقة أخرى، لمقولة أوسكار وايلد الشهيرة (الفن لا يقلد الحياة، ولكن الحياة تقلد الفن).

في ديوان محمود درويش الجديد (أثر الفراشة، 2008) الذي رفده بعنوان جانبي صغير (يوميات) اتجاه واضح نحو تجميع أكبر قدر ممكن من الوقائع الحياتية اليومية وإدراجها في عملية تطريز جمالي-خيالي دؤوب (سنعرض لهذا الديوان الجديد المنفتح على أفق الواقعيات الجديدة، في قراءة لاحقة).

* د. عبد الماجد عبد الرحمن، كاتب وأكاديمي سوداني مقيم في السعودية، جامعة القصيم.